التعريف والنقد

النثر المهجري

« محاضرات الأستاذ عبد الكريم الأشتر »

هذه رسالة أعدّها الاستاذ عبد الكريم الأشتر لنيل درجة « الماجستير » من معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة ، ثم حاضر بموضوع هذه الرسالة في قسم الدراسات الأدبية واللغوية في هذا المعهد . وقد اشتمل الجزء الأول منها على : المضمون وصورة التعبير في نثر المهجر ، واشتمل الجزء الثاني على : الفنون الأدبية في هذا النثر .

صدّرت الرسالة بمقدمة للدكتور محمد مندور أفاض فيها صاحبها في الكلام على خصائص هذه المحاضرات التي انفرد بها المحاضر وأتى على ذكر المجهودات التي بذلها في سبيل بحثه .

اذا أردت أن أبيّن خصائص « النثر المهجري » في هذه الأسطر أو في هذه الصفحات فقد ظلمت المؤلف ثم ظلمت نفسي ، اني أظلم المؤلف لأنّ أسطراً أو صفحات لا تحيط بوصف هذا الكتاب ، ثم اني أظلم نفسي لأني إذا فعلت مهّدت السبيل الى السك في إنصافها .

إن اوّل ما يشعر به قارىء « النثر المهجري » انما هو الجهد العظيم في دراسة الموضوع من مجامع آفاقه ، وما عليّ اذا اعترفت في هذا المقام بأن المؤلفات التي تظهر عليها آثار مثل هـذا الجهد قليلة جداً ، فأكثر أصحابها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يعرضون أفكارهم فيها على نحو عرض الصور في دور السينما مما يدلّ على ضيق أنفاسهم والاستخفاف بتبعاتهم .

أمّا الاستاذ عبد الكريم الأشتر فقد عمل كتابه وهو يشعر بجملة تبعات : تبعة الاستقصاء في بحث غير سهل المورد ، وتبعة الإتقان وتبعة الانصاف في محاكماته ، فكان له من سَعَة نَفَسه وطول صبره معين على الاستقصاء ، ثم كان له من حسن تمييزه وصفاء تفكيره معين على الاتقان ، ثم كان له من نقاوة ضميره معين على الانصاف .

لقد أمرّ في آخر الكتاب على ذكر المصادر والمراجع فالمؤلف لا يشبه طائفة من المؤلفين الذين يكثرون في آخر كتبهم ذكر المصادر والمراجع حتى يوهموا الناس أنّهم استقصوا كثيراً وتعبوا كثيراً ، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحات « النثر المهجري » من الإشارة الى بعض المصادر والاستشهاد بنصوصها وهذا ما يثبت قولي إن المؤلف حاسب نفسه فسلم من تبعة التقصير في الاستقصاء .

* * *

لا ريب في انّ أدبنا في المهجر إنما هو جزء من أدبنا العام فليس من الإنصاف في شيء إهمال أصحابه ، فقد دخل هذا الأدب في ميراثنا ، دخل بجميع خصائصه وفنونه ، فلا نستطيع التبرؤ منه في حالٍ من الأحوال . لقد ترك هذا الأدب بعض الآثار ، منّا جماعة غلوا في الانبساط اليه ومنّا جماعة غلوا في الانقباض عنه . فالمؤرخ المنصف يقف من هاتين الفئتين موقفاً وسطاً فيبيّن ما جاء على ايدي أدباء المهجر من خير ، ويوضح ما انحرف به هؤلاء الأدباء عن جادّة أدبنا العام .

وليس من سبيل الى مثل هذا الموقف الاّ بدراسة أدب المهجر من مجامع نواحيه : من نواحي فنه ومن نواحي موضوعاته حتى نستطيع أن نعرف كيف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نشأ هذا الأدب ، هل حمل أصحابه من بلادهم جذوره وأصوله فنمت هذه الجذور والأصول في المهجر ودخل عليها بعض التطعيم أم انها نشأت في المهجر .

لا ريب في أن هذا الأدب قد أنبت نباتاً جديداً في أدبنا العام ، من زوايا الفلسفة والاجتماع ونحوهما ، إلاّ أن الذين غلوا في الانحراف عنه لم يغلوا مثل هذا الغلوّ الاّ لاعتدائهم في كثير منه الى ما خرج به أصحابه عن مألوف البيان العربي ، ولا يصحّ أن نقيم هؤلاء الغلاة بالجحود والتعصب في مثل هذه الحال ، فان الغيرة على بيان العرب وحدها هي التي دفعتهم الى موقف الشك في أدب المهجر .

لقد درس الاستاذ عبد الكريم الأشتر أدب المهجر ولم يهجم على موضوعه دون كثير من الروّية فانه لم يباغت البحث مباغتة وانما فكّر فيه وخمّر هذا التفكير فوضع لدراسته خطة عامّة سار عليها حتى لا تكون الدراسة فوضى واذا ألقينا نظرة على فصوله وأبوابه وجدنا أن صاحبها لم يغادر شيئاً من أدب المهجر يفتقر الى بعض الإيضاح لا من حيث الموضوعات الإنسانية والاجتماعية والوطنية ولا من حيث اساليب البيان ووجوه التعبير في الأنواع الأدبية كلها : في المقالة والقصة والرواية والنقد والسيرة والأمثال والرسائل .

لقد أتقن المؤلف أساليب الدراسة الحديثة فما يتكلم على أديب من أدباء المهجر الاّ أسرع الى بعض نصوصه فدرسها وأشار الى تأثير البيئة فيها أو الى تأثير الاقتباس ونحوه مما يدلنّا على فرط شعوره بالتبعة في البحث حتى انه لم يغفل في بعض المواطن عن الإشارة الى تأثير الإرث .

فاذا فخرت كلية الآداب في جامعة دمشق فلتفخر بجهد هذا الغرس الذي نبت في ظلالها .

شفيق جبري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net